

روح المعاني

أقولون على أنّ ما تعملون 68 من التوبيخ والتقريع على جهلهم وإختلاقهم وفي الآية دليل على أن كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وأن العقائد لا بد لها من قاطع وأن التقليد بمعزل من الإفتاء ولا تصلح متمسكا لنفي القياس والعمل بخبر الآحاد لأن ذلك في الفروع وهي مخصوصة بالأصول لما قام من الأدلة على تخصيصها وإن عم طاهرها .

قل تلوين للخطاب وتوجيه له إلى سيد المخاطبين صلى الله عليه وسلم ليبين سوء مغبتهم ووخامة عاقبتهم وفي ذلك إنذار لهم عن الإستمرار على ما هم فيه هولغيرهم عن الوقوع في مثله إن الذين يفترون على الله الكذب في كل أمر ويدخل الإفتراء بنسبة الولد والشريك إليه تعالى دخولا أوليا وهو أولى من الإقتصار على ما الكلام فيه وحينئذ فالمراد بالموصول ما يعم أولئك المخاطبين وغيرهم أي إن من تكون هذه صفتهم كائنا ما كانوا لا يفلحون 69 لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب أصلا ويندرج في ذلك عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة والإقتصار عليهما مقام المبالغة في الزجر عن الإفتراء عليه سبحانه دون التعميم في المناسبة .

متاع في الدنيا خبر مبتدأ محذوف أي هو أو ذلك متاع والتنوين للتحقير والتقليل والظرف متعلق بما عنده بمحذوف وقع نعتا له والجملة كلام مستأنف سيق جوابا لسؤال مقدر عما يتراءى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالخطوط الدنيوية على الإطلاق أوفي ضمن إفترائهم وبياننا لأن ذلك بمعزل من أن يكون من جنس الفلاح كأنه قيل : كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل : هو أو ذلك متاع حقير قليل في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم أشير إلى إنتفاء النجاة عن المكروه أيضا بقوله سبحانه : ثم إلينا مرجعهم أي إلى حكمنا رجوعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون 70 أي بسبب كفرهم المستمر أو بكفرهم في الدنيا فأين هم من الفلاح وما ذكرنا من كون متاع خبر كبتدأ محذوف هو الذي ذهب إليه غير واحد من العربيين غير أن أبا البقاء وآخرين منهم قدروا المبتدأ حياتهم أو قلوبهم أو إفتراؤهم وإعترض على تقدير الأخير بأن المتاع إنما يطلق على ما يكون مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه في نفسه يتمتع به وينتفع وإنما عدم الإعتداد به لسرعة زواله ونفس الإفتراء عليه سبحانه أقبح القبائح عند النفس فضلا عن أن يكون مطبوعا عندها وأجيب بأن إطلاق المتاع على ذلك بإعتبار أنه مطبوع عند نفوسهم الخبيثة وفيه إنتفاع لهم به حسبما يرونه إنتفاعا وإن كان من أقبح القبائح وغير منتفع به في نفس الأمر ولا يخفى أن الوجه الأول مع هذا أوجه وقيل إن المذكور مبتدأ محذوف الخبر أي لهم

متاع إلخ وليس ببعيد والآية إما مسوقة من جهته سبحانه لتحقيق عدم إفلاحهم غير داخله في الكلام المأمور به وهو الذي يقتضيه ظاهر قوله سبحانه : ثم إلينا مرجعهم وقوله تعالى : ثم نذيقهم وإما داخله فيه على أن النبي A مأمور بنقله وحكايته عنه تعالى شأنه وله نظائر في الكتاب العزيز واتل عليهم أي على المشركين من أهل مكة وغيرهم لتحقيق مسبق من عدم إفلاح المفترين وكون ما يتمتعون به على جناح الفوات وأنهم مشرفون على الشقاء المؤبد والعذاب الشديد نبأ نوح أي خبره الذي له شأن وخطر مع قومه الذين هم أضراب قومك في الكفر والعناد